أحمد زكى أبو شادى

ولد سنة ١٨٩٢

هو الشاعر المجدد ، والأديب الحر المفكر ، الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

ولد سنة ١٨٩٢ بالقاهرة ، من أسرة عريقة فى الوطنية ، وأبوه المرحوم محمد أبو شادى أحد كبار المحامين الذين نالوا المكانة الرفيعة فى عالم المحاماه وممن جاهدوا فى الحركة الوطنية ، ووالدته السيدة أمينة نجيب من السيدات الأديبات الشاعرات ، وكان أخوها المرحوم مصطفى نجيب[1] أديبا وطنيا وصديقاً ونصيراً للمرحوم مصطفى كامل .

أتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية فى المدارس المصرية ، وظهرت مواهبه الشعرية والأدبية فى هذه المرحلة من الدراسة ، وكان من تلاميذ مصطفى كامل فى الوطنية ، ودخل كلية الطب بالقاهرة ، ولم تصرفه الدراسات الطبية والعلمية عن الاستمرار فى دراساته الأدبية ، فأحب الشعر وتذوقه ، وأقبل على نظمه وهو فى هذه السن المبكرة ، وشعره رقيق ممتع ، يمجد الوطنية وينزع إلى الحرية والتجديد والخروج على الأساليب القديمة ، واحتفظ بهذا الطابع على تعاقب السنين ، وأكمل دراسته الطبية فى انجلترا ، وتعمق فى الآداب الإنجليزية إلى جانب دراسته من قبل للآداب العربية ، وازداد تعلقا بالتجديد فى الأدب والشعر ، ولما عاد إلى مصر تنقل فى مناصب الحكومة وصار أستاذاً للبكترولوجيا بكلية الطب بجامعة الاسكندرية ومديراً للمعمل البكترولوجى بالمستشفى الحكومى بها

كان ولا يزال يصدر فى شعره عن إلهامه وعقيدته و إيمانه ، وفى ذلك يقول عن نفسه :

وهل كان شعرى غير إيمان مهجتى ... وعِشْقى و إحساسى ولَحنى المردَّد

---

(١) والد الأديب الأستاذ سليمان نجيب .

وكون مدرسة أدبية تزعمها ترمى إلى الثورة على القديم والدعوة إلى الحرية فى الفكر والأدب والفن ، وكان لهذه المدرسة مجلة أدبية تسمى مجلة (أبولو) الشعرية الأدبية ، أصدرها أبو شادى فى القاهرة سنة ١٩٣٢ وكانت ندوة لأنصار الجديد من الشعراء والأدباء ، وتكاد تكون المجلة الشعرية الوحيدة التى ظهرت فى العالم العربى ، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات ثم احتجبت .

وقد صادف أبو شادى فى حياته الحكومية والأدبية عنتا وأذى من رؤسائه وأنداده ، واستهدف من أجل نزعته الحرة لشتى ضروب المناوأة ، فاعتزم الهجرة من مصر ، وهاجر فعلا إلى نيويورك فى سنة ١٩٤٦ ، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية والعلمية ترحيبا عظيما ، وأخذ ينشر فى الصحف والمجلات العربية والأفرنجيه فى أمريكا ثمار أدبه وشعره ، ونفحات آرائه وأفكاره ، كما أخذ يذيع من « صوت أمريكا » مرتين فى الأسبوع ، وأسس فى نيويورك (رابطة مينرفا) الشعرية الأدبية على غرار (جمعية ابولو) ، وقدرته الحكومة الأمريكية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية فى العالم الجديد ، وانتخب أستاذا للأدب العربى بمعهد آسيا بنيويورك ، وهو يتولاه إلى اليوم بجدارة تفخر بها مصر ، ويعد أبو شادى رائدا من رواد النهضة الأدبية والفكرية الحديثة ، وهو رغم هجرته إلى العالم الجديد دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة فى أمريكا وفى مصر ، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدميه وتعلقه بالحرية وإيمانه بما يقول ويكتب .

وهو فى أحاديثه ومحاضراته لا يفتأ يذكر مصر ويناضل عنها ويحن إليها ويشيد بها وبعلمائها وأدبائها وكتابها وتاريخها ، وهو فى غربته خير سفير أدبى لمصر فى العالم الجديد

وله عدة دواوين من الشعر نحى فيها منحى التجديد والابتكار ، وحلّق فى سماء الفن والخيال والسمو الفكرى .

نذكر منها ديوان « أنداء الفجر » وهو أول دواوينه ومختارات من نظمه سنة ١٩١٠ . و « أنين ورنين » وهو صور من شعر الشباب . و « الشفق الباكى » وقد ظهر سنة ١٩٢٤ . و « الينبوع » . و « أشعة وظلال » وقد نشر سنة ١٩٣١ . و « أطياف الربيع » . و « فوق العباب » وقد طبع سنة ١٩٣٥ . و « عودة الراعى » وقد ظهر سنة ١٩٤٢ .

ومن آخر دواوينه « من السماء » وقد ظهر فى نيويورك سنة ١٩٤٩ ويضم معظم شعره من سنة ١٩٤١ إلى ١٩٤٩ .

هذا عدا ما أخرجه من الكتب والمؤلفات والقصص والمسرحيات .

رثاؤه لمصطفى كامل

قال من قصيدة له فى فبراير سنة ١٩٠٨ ، وكان لا يزال طالباً بالمدرسة الثانوية يرثى مصطفى كامل :

يا مصر حلّق طيرُ اليأس فى أفق ... داج باحزان شعب كان ساليها
مات الرئيس فماتت بعده همم ... قد كان نبراس فكر منه يجليها

إلى أن قال :

سارت به أمة أحيا مداركها ... حتى إلى القبر وارت فيه حاميها
ودّت لو ان صروف الدهر تأتيها ... وتلكم النفس هذا الشعب يفديها
والكلّ يلبس ثوبا للحداد أسى ... على الفقيد وما من ثمت يهديها
أبصارها نكست من فوقها كتبت ... عبارة كان صدق الحس يمليها
مصر الفتاة مرور العمر تذكره ... لروحه لم تزل تعدو أمانيها

مفخرة رشيد

وله فى سنة ١٩٢٥ قصيدة وطنية من نيف وستين بيتا ، نظمها تمجيداً لذكرى معركة رشيد التى وقعت يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ بين المصريين و الإنجليز وفاز فيها أبطال رشيد على الجيش البريطانى الذى زحف على مدينتهم يريد احتلالها ، فصمدوا له وقابلوه فى الشوارع واستبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم حتى صدوه عنها وهزموه وارتد عن المدينة بعد أن فقد فى المعركة ١٧٠ قتيلا و ٢٥٠ جريحا و ١٢٠ أسيرا[1] ، وكانت هذه المعركة حقا مفخرة

---

(١) راجع فى تفصيل معركة رشيد كتابنا (تاريخ ، الحركة القومية الجزء الثالث — عصر محمد على)

لرشيد ، وأشاد أبو شادى أيضاً فى قصيدته بالمعركة الثانية التى وقعت فى (الحماد) وانتهت كذلك بهزيمة الجيش البريطانى .

قال :

رَوّحينا بأحاديثِ الجَلالِ ... وبنَفْحٍ من هواهُ غيرِ بالِ
واسْمَحِي يا (مصرُ) أن نُزجي لهُ ... مُنْتَهى فَخْرِ رجالٍ برجالِ
ما عَرَفْنا قدرَنا إنْ لم نَحُزْ ... سيرةً منهم تُغذّينا بحالِ
وبآمالٍ لآتٍ غالبٍ ... إنّ آتى المَجْدِ من ماضى الخيالِ
خاطئٌ مَنْ ظَنَّ ماضيه بلا ... مُرْشِدٍ يهْدِى إلى غالى المآلِ
ما نَما شعبٌ بلا جهْدٍ مضَى ... وتَبَقَّى فيه تَذْكارُ الفعالِ
هى أحلامٌ وأعمالٌ بَنَتْ ... فى سنينٍ وسنينٍ كلَّ غالِ
هو مَهْدٌ وُلِدَتْ فيه العُلَى ... بأناةٍ وكفاحٍ ونوالِ
لم تجئ طَفْرَةَ جيلٍ لاعبٍ ... إنما جاءت على طُولِ اللّيالى
كابرٌ عن كابرٍ قد صانَها ... بمراعاةٍ وأخلاقِ المعالى

إلى أن قال محيياً ذكرى أبطال رشيد الذين صدوا جيش الغزاة المستعمرين :

رَوّحينا (مصر) مِنْ ذكراهمو ... تلكَ ذكرى عن بُلوغٍ لِمُحالِ !
بلّغينا كيف أوْدَى عَزْمُهُمْ ... بصعابٍ قُمْنَ أقْسَى من جبالِ !
كيف هَزُّوا قُوَّةً أكبرَها ... عالَمُ القوّةِ والحربِ الضَّلالِ !
كيف ضَحّوْا للرّمال دَمهمْ ... فى دفاعِ العزِّ عن تلك الرّمالِ !
كيف أفْنَوْا من جُنودٍ صَوّبَتْ ... نحوهم أقوى مُعدّات القتالِ !
كيف كيف استبسلوا فى واجب ... وأقاموا المُلكَ وضّاء الخلالِ ؟!

* * *

يا (رشيدُ) الذّكرُ حَيٌّ خالِدٌ لعظيمِ الجُهْدِ معدومِ المثـــالِ
أنتَ ثَغْرٌ ناطقٌ فى رَسْمِـــهِ حُرْمَةَ الماضين (للنيلِ) الزّلالِ

إلى أن قال :

مثلَ ما أذكى لها شُـــبانها فتحدَّوا خَصْمَهُمْ قبلَ السؤالِ
كالجرادِ نَشْرُهُمْ فيـــكَ على رَبَوَاتٍ يرقبـــــون وتلال
فإذا العـادونَ جاءوا ما بهمْ ثقةٌ إلَّا وضـاعت فى مَلَالِ
وأتتْ فرقتهم فى نَشْـــوَةٍ عَنْكَ فارتدّتْ خيالًا فى خيالِ ![1]
بين قَتْـــلَى وحيارى هربوا وضحايا لإسارٍ وعقـــــال
ثم جاءوا فى خميسٍ لجبٍ وعَوادٍ لم تكنْ جالتْ ببالِ[2]
مِنْ متاريسٍ كَفَتْ رؤيتهـا لحسـابٍ وعقابٍ ونكالِ !
وعـــــديدٍ بين باغى مدفعٍ أسـودِ الوَجْهِ وإمْدَادٍ مُوَالِ.!
وأبَوْا إلَّا حصـــاراً هائلاً فدفعت الحصْرَ دفعاً بالعـوالى !
وغنمت كلَّ ما كان لهمْ من شُموخ وإباءٍ قبلَ مالِ
رحلوا رحـــلةَ جانٍ ضائع بئس يومُ الخُسْرِ من يوم ارتحالِ !

* * *

هكذا بالبأسِ تحيا أمّةٌ لا بخوفٍ أو غُلوٍّ أو خَبَالِ
هكذا بالوَحْـدَةِ الحسناء لا يعْدَمُ الإصباحَ أبنـاء الهلالِ
إنَّ شـعباً يتحدَّى (انجلترا) فى مجالِ الحَقِّ شـعبٌ لا يُنالِ
وبَنين ينشـدون مثل ما أحسن الآباء أَوْلَى باكتمالِ

---

(١) يقصد معركة رشيد .

(٢) يقصد معركة (الحماد) التى تقع جنوبى رشيد بين النيل وادكو ، وقد وقعت فيها المعركة الثانية بين الإنجليز والمصريين يوم ٢١ إبريل سنة ١٨٠٧ ، وكانت أشد وأقوى من معركة رشيد ، وهزم فيها الجيش البريطانى أيضا هزيمة ساحقة ، انتهت بفشل الحملة البريطانية وجلاء الإنجليز عن الديار المصرية فى سبتمبر سنة ١٨٠٧ .

إنّما الأمّـــةُ من أفرادِها فى ثبـــاتٍ ووفاءٍ ونزالِ

إلى أن قال :

إيهِ قومى قُمْتُ فيكمْ ذاكراً (نافرين) الأمسَ فى مُشْجى المقال
وأنا اليـومَ طَرُوبٌ ذاكرٌ دُرَّةَ التاريخِ شعَّتْ كاللآلى
فلنا كلتاهما عنـــوانُ ما يحفظُ التاريخُ من غالٍ وحالِ
أىُّ مصرىٍّ درَى ما لَقَّنَا مِنْ عِظَاتٍ ثمّ أضْحى وهو سالِ ؟
أىُّ جَمْعٍ مِنْ خصـالٍ حُرَّةٍ لم تكرّمْ جَمْعَ هاتيك الخصالِ ؟
أىُّ شـعبٍ فى جلالٍ وسنًى يدّعى أنّا عبيـدٌ ومَوَالِ ؟
كُلُّنَا فَرْدٌ له أُمَّتُـــهُ حَظُّهُ بل قصْدُه فى كلّ حالِ
لا سُباتٌ — هانَ أم طالَ بنا — ما يُؤدّى بِعُلانا لانحـــلالِ
فى طلابِ المجد — أن تمضى بنا فترةٌ للّهو أو دَوْرُ انتقـــالِ
خابَ مَنْ ظنّ الرقادَ ميتـةً كم أسودٍ رقَدتْ تحت الظلالِ !

* * *

آنَ رَجْعُ الجهْدِ قومى فانفضوا سِنَةَ اللَّهْوِ وهَيَّا للمَجـالِ !
بسلاحِ العلمِ قبل السَّيفِ قدْ صارتْ الحرْبُ أعاجيبَ اشتغال
ربَّ خيطٍ من نسيجِ القطن لا يبلغُ المدفعُ منه كفعالِ
عالمٌ فيـــه الفنونُ قوّةٌ والصناعاتُ ، وليستْ للجـدالِ
عمـــلٌ مُسْتَتْبَعٌ لا ينقضى لاقتصادٍ وانتفاعٍ واشـــتمالِ

* * *

أمّتى ! أحْلَى دُعائى دَعْـوَةٌ لكِ مِنْ قَلْبى بها أسمى ابتهالى ؟

رثاؤه لفريد

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة له فى رثاء محمد فريد :

سلوا (برلين) عمن حل فيها ... يفتت كبده المرض العنيد
مضى يستوهب الأيام عمرا ... تتم به المساعى والجهود
فلم يذهب بعلته طبيب ... ولم يكتب له عمر جديد
وخرَّ على السرير وحب مصر ... على تبريح علته يزيد
فيا لهفى عليك وأنت كهل ... غريب عن أحبته بعيد
تموت فلا ترى مثواك أم ... ولا أخت ولا زوج ودود
ولا يروى ثراك أخ شقيق ... بدمعته ولا طفل وليد

الحياة كفاح

قال سنة ١٩٣٣ من قصيدة له عن (المجاهد الجريح) يصف الحياة وأنها كفاح وجهاد :

شهدتُ من الدنيا المعارك والمُنَى ... تشوق الفتى نحو المعارك والخَطْب
فصرتُ كجندىٍّ جريحٍ مضمَّد ... يئن ولكن كم يحنُّ إلى الحرب
ويهرب من حكم الحجا فى وثوبه ... إلى ساحة الهيجاء والموقف الصعب
توالت جراحاتى وأوذيتُ دائما ... وهيهات أُلْقِى من سلاحى ومن دَأْبى

يدعو الشعب إلى مجاهدة الفساد

وقال من قصيدة له فى ديوانه (عودة الراعى) سنة ١٩٤٢ :

يا شعبُ قمْ وانشد حقو ... قك فالخنوع هو الممات
تشكو الغريب وعلة الشـ ... ـكوى الزعامات الموات

* * *

قد عمت الفوضى وقد دب الفساد بكل شئ
فإذا سكنت فلن تُعـــدَّ ولن يفى لك أىّ حىّ

* * *

ما دمت تقبل أن تكـــون من الضحايا كالعبيد
سيسُومُك القُوَّام والأســـياد ألوانَ القيـــود

* * *

يا شعبُ كيف تطالب الـــغُرباءَ بالبرِّ الســـخىّ
وتطيق مُلـكَكَ فى محا باةٍ وفى نهب وغَىّ

* * *

هيهات يُعطى الحقَّ من ألف التهاون فى الحقوقْ
هـــذا هو العدل الصحيـــح وغيره عَيْن المروقْ

* * *

انهضْ وحاكم بائعيـــك إلى الهوى و إلى الفساد
أو متْ ذليـــلا لا يُقا س بذُلِّه حتى الجماد

يودع مصر

وقال يودع مصر ويذكر أسباب هجرته فى قصيدة له عنوانها (لم ارتحلت ؟) :

سألونى لم ارتحلت ؟ كأنى لم أجبهم بسيرتى نصف قَرنِ
شادياً بالطليق من شعرى الباكى أغنى لمجـــدهم ما أغنّى
وحياتى لعـــزهم فى كفاح ككفاح الشعاع فى وسط دجن
مُثُل لن تجـــد نوعا وعدا كنجوم السماء فى كل فن

وتبلغت بالعذاب وبالبؤس مرارا وكل حظى التجنّى
وكأنى وحدى المسىء بإحسا نى لعصرى أو أنه لم يسعنى
ما كفاهم أنى أعانى وجودى فى وجود بقاؤه محض غبن
ما كفاهم أنى أواصل ليلى بنهارى لأجلهم وسط مَنّ
ما كفاهم أنى أضحّى بروحى حينما عز من يضحى ويفنى
ما كفاهم أنى تناسيت نفسى فوق نسيانهم حقوقى وأمنى
ما كفاهم أنى لهم ذلك الرا ئد يشقى كالراح فى أسر دن
ما كفاهم أنى ارتضيت شقائى لى جزاء ويهدمون وأبنى
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا بعقوقى وما رعوا حق سنى
ثم حالوا بين المثالية العلـ ـيا لفكرى وبين شعبى وبينى
فترحلت حيث تحترم الأحرار وحيث الهواء طلق لذهنى
وأظل الوفىّ رغم اغترابى لبلادى ما غيبت قط عنى

القلب الباكى

ومن قصيدة له نظمها فى عيد ميلاده عام ١٩٤٨ يناجى فيها الوطن قائلا :

يا مصر لولاك ما فارقت فى حرقى أزكى الجنان ، ولا عوقبت ، لولاك
أهواك فى غربتى أضعاف ماسمحت به المقادير فى قربى ، وأهواك
ما العيد عندى عيد فى مباهجه أنا الغريب فعيدى يوم ألقاك
على سلام وفى حرية شملت لا أن أعود لأغلال وأشراك
الثلج حولى أحنى فى تحرره على فؤادى من ضيم بدنياك
والنفى أسعد أيامى إذا فرضوا ذل الجباه لمأفون وأفاك
يا ربّ مقترب فى حكم مغترب وضاحك كل ما فى قلبه باك

الحنين إلى الوطن

قال يصف حنينه إلى الوطن وتعلقه به فى غربته :

نَفْيان : نفيُ مغرَّب عن أمتى ... عانٍ ، ونفى معذَّب فى وحدتى
وحيالى الأفراح شتى ما لهـا ... حدٌّ ، فلا ألقى النعيم بنعمتى
قالوا فررتَ وما فررتُ وإنما ... كافحتُ فى وطنٍ به حريتى
وضربت بالحرمان أمثالَ الهُدى ... للعاملين وكم شقيتُ لأمتى
لم أعن بالأشكال قدرَ عنايتى ... بتمسكى بمبادئى فى ثورتى
حرقَ البخورَ لمن أذلّ بلاده ... وحَرقتُ فى إعزازها من مهجتى
وجعلتُ ما عانيتُ قربانا لهـا ... وأظلّ فى سقمى وفى شيخوختى
وطنى ! رضيتك منصفا فى قدره ... جهدى وإخلاصى وغاية غيرتى

يتشوق إلى مصر

ومن قصيدة له فى حفلة أقيمت لتكريمه فى نيويورك سنة ١٩٥٠ :

تركتُ مصر وقلبى لوعـة ولظًى ... لجنّةٍ ضُيّعت فى نَوْم جَنّان
فِدًى لها — لو أباحت — كلُّ ما ملكتْ ... نفسى وما وهبت فى حبها الجانى
تركتُها وبودى غير ما حكمت ... به المقادير فى أشجان لهفـان
وقلت عَلِّى على بُعْـدٍ أشارفها ... وأنفخ الصـورَ إن فاتته نيرانى
اثنان خُلِّدت الدنيـا لأجلهما ... الحبُّ والنيلُ مذ كانا بإنسـان

الوطن بأبنائه

قال فى اعتراف المواطنين بأقدار الرجال وأنه من مظاهر الوطنية السليمة :

إذا عرفَ الرجال حقوق بعضٍ ... لبعضٍ نُزِّهوا عن كل ضعفِ
فتنتظم البـلاد بهم وتسمو ... ويغدو الفرد معدودا بألف

تأملات

ومن قوله فى قصيدة له بعنوان (أقصى الظنون) :

ما الخلقُ ، ما هذه الدنيا ومنشؤها ؟ ما الفكرُ ما الجوهر الباقى وما العدم ؟
مسائلٌ هى للأحقاب باقيـــــةٌ كما سيبقى الردى والشك والألم
أجلٌ فرضٍ لهـــا وَهْمٌ وأيسره وَهْمٌ وقد يستوى الدهماء والعـــلم

الوطنية والعروبة

ومن قصيدة له يعبر فيها عن وطنيته وعروبته :

إن العروبة والكنانة ملتى دين يوحّده الوفىّ العابد
فلموطنى روحى وكل جوارحى ولكم حنينى والشعور الماجد
يكفى لنا النسب العتيد مجمعاً فجميعنا صيدٌ رماه الصائد

نداء الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩٥١ يناجى الشعب ويمجد جهاده ضد الاحتلال فى معركة القنال :

بوركت ياشعب الكنانة ثائراً حُرًّا ويا وطن البطولة قاهرا
أزجى إليك تحيتى من خاطرٍ دامٍ ومن قلب يذوب مشاعرا
يأبى النفاق ولا يبوح بغير ما جعل الحياة نفائسا وذخائرا
ليس الصديق هو المُقرّب وحده ولَرُبَّ مهجور يُظن الهاجرا
إن كان غيّبنى العتاةُ فمهجتى لكَ أين كنت مكافحاً ومناصرا
آبى مساومة الطغاة وإن أذق شر الأذاة ، مواليا لك ذاكرا

إن كان يُعْوِزُنا السلاح فربما خلق الإباء بنا السلاح البائرا !

* * *

وحشٌ للاستعمار يمعن شره باسم الحضارة والتقدم ساخرا
وكأنما حسب العقول نفاية للناس ، أو بعض الهواجس دائرا
هل يصلح المذياع من آثامه حين الرصاص يصيح أرعن كافرا ؟
حين الفظائع قد خَطَبْن بألسن للنار واعتلت الجراحُ منابرا ؟
حين الأساطير التى يدلى بها سبت بصائر للورى وسرائرا ؟
حين الخرائب صارخات حوله مثل اليتامى لا تمثل عامرا ؟

* * *

إن كان حسن الظن ذنبا أولا فيه ، فكيف يعد ذنباً آخرا ؟
هو غاية الإجرام للوطن الذى عانى وعانى من أذاه خسائرا
لن يمنح الوطن المفدَّى صفحه لفتى يخادع أو يخادع صابرا
ويرى بالاستعمار بعض خلاصه هل كان الاستعمار إلّا جائرا ؟
قَرْنٌ من التغرير عَلَّم نشأنا أن يحذروه مفاوضاً ومشاورا

حذراً بنى وطنى ! فذاك عدوكم مهما تقلب فى المظاهر ماكرا
لا تمنحوه سوى القطيعة وحدها فمن القطيعة ما يكون الزاجرا
أو ما يكون به الخلاص ليومكم وعد نؤمل فيــه بعثاً باهرا !
حذراً بنى وطنى وكونوا وحدة فعّالة ، لا ضجة وحناجرا !
ليست سلامتكم مجالا هيِّنا إن السلامة قد تكون مخاطِرا
لا تأسفوا — مهما حزنتم — للأُلى ذهبوا الضحايا فى (القناة) حرائرا
حمل الأديم من النجيع وصية تبقى لأحقاب تدوم ذواكرا
خَلُّوا التغنى بالجدود وفضلهم مهما تلألأ روعــة ومفاخرا

فهو الغنيُّ بذاته عن ذكره إلّا ليُلهم غافياً أو شاعرا
وخذوا بأسباب لِمنْعة حاضر إن الحقيقة ما تمثل حاضرا
كونوا من الشهداء فى إعجازكم بثباتكم ، لا تجعلوه العابرا
لا عُذْرَ بعد اليوم عند تهاون إن التفوق لا يطيق معاذرا !

يهاجم فاروقاً قبل خلعه

ومن قصيدة له نشرها فى مجلة (الشهباء) التى تصدر فى حلب — عدد أبريل سنة ١٩٥١ ، يهاجم فيها فاروقاً قبل خلعه بعام ، ويشبهه بالكركدنّ ، وهى من بليغ شعره الوطنى ، قال :

مِنْ دَمعةِ الشعب ومن كدِّهِ ومن دم الأمة فى نَرْدِهِ
مملَّك الخلد على صفوها ياليتها تملك من حَدِّه
كم يجعل الدين حبالاته ليخنق المصلح فى مهده
قد عَضَّها الدهر ، وما عضَّه إلّا فم يرشف فى وجده
يمرِّغ الأمة فى رجسه ويسرق الأمة فى رنده
عانت به و بأوشابه فى قُرْبه الجانى وفى بعده
منتفخاً ، يمزح مستغرقا فى اللهو ، كالصائد فى صيده
كالكركدنِّ الذى يزدهى فى قبحه يسخر من قده
لم تعطه غانيةٌ قبلةً إلّا كمن تهزأ من رشده
أو بادلته نكتة حلوة إلّا ومغزاها مدى نقده

* * *

حتام يا قوم ضلالاتكُم تمكِّن الفاجرَ من قصده ؟
كنا نرجِّيه مثال الهدى فأصبح الغاشم فى حقده
كنا نغنيه أغانى العلى فأصبح المبدل من حمده

كنا نفـــديه بأرواحنا ... فى روحه العالى وفى زهده
ما بالله أضحى فتى ماجناً ... الشارد الخادع فى وعده ؟
حتام يستهزئ من مجدكم ؟ ... حتام ؟ والخسةُ من مجـــده
حتام يسترســـل فى غيِّه ؟ ... حتام ؟ والسوقةُ من جنـده
حتام أعلاكم له صاغرٌ ؟ ... حتام ؟ بل أهون من عَبْدِه
أعقلـكم دون دفين الثرى ... لو يعقل الميِّت فى لحده

يحيى ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢

وقال سنة ١٩٥٢ من قصيدة له محييا ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ :

بوركت يا وطنى العزيز محرراً ... سَمْحاً ، وفى كل القلوب حبيبا
لو أستطيع كتبتُ شعرى من دمى ... حتى أزيد بشـــعرى الترحيبا
لو أستطيع سألت كل خميلة ... وبعثت بالشـــعر المنوَّر طيبا
لو أستطيع زففت ما أنا عاشق ... ليكون قربانا أعز قريبـــــا
لو أستطيع بعثت من ضحك الضحى ... كنزا ، ومن لهف الغروب نسيبا
لو أستطيع وهبت كل مكافح ... عمراً تكرر فى الخـــلود عجيبا
لو أستطيع أعدْتُ أعواماً مضت ... لتقصَّ أحلاما رأت ووجيبا
لو أستطيع بذلتُ أضعاف الذى ... حُملت فى إيثارى التعـــذيبا
لو أستطيع غسلت ساحة دوركم ... بمدامعى ، ورششتها تطييبا
لو أستطيع هربت من شيخوختى ... ورجعت أرفل فى الشباب قشيبا

ينادى بإلغاء المَلَكية

من قصيدة له فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ يدعو إلى إلغاء المَلَكية :

اقطعوها وانبذُوا مَن دعاها ... نعمةً ، إنا شبعنا مِنْ أذاها
قد خُدعنا فى الذى قالوا لنا ... عن جَنَاها ، بئس ما يَجْنِي جناها
أثرٌ أحيـــــا قرونا سلفت ... وأمات العصرَ[1] فى بَغْيٍ تناهى
قلتُ « أحيا » ليته الحُلم الذى ... كان أحيا الأمس إصلاحا وجاها
إنما أحيـــــا شرورا سلفت ... زَوَّقُوها كى يَعدّوه إلٰها
خدعونا حقبـــةً واستسهلوا ... أن يُضلّوا الشعب فى الذل فتاها[2]
كم تغنّينا بحب صـــــادق ... فرأينا مَنْ هوَى فيمن تباهى
سلطةُ الشعب هى الأمُّ التى ... أَنْمت الأحرارَ ، لا دعوى سواها

يحيّى الجمهورية المصرية

وقال من قصيدة له فى ١٩ يونيه سنة ١٩٥٣ يحيى الجمهورية المصرية بعد إعلانها[3] :

إذا الحكمُ للجمهور أصبح رائداً ... أَبَى الحقُّ أن يَلْقَى به العارَ والظُّلْما
فيا أمة (النيـــل) المبارك حاذرى ... — وقد نِلْتِ ما تَهْوِيْنَ — أن تَخْلُقِى الضَّيْما
ولا تقبـــلى التفريق فى أى مظهر ... فمن يقبل التفريق يستأهل الرَّجْما

* * *

أُعيذكِ من وَهْمٍ يصـير عقيـدةً ... فكم أمة هانت بإعزازها الوهما
أُعيذ (جمالا[4]) والزعيم (محمدا[5]) ... بِحِذْقهما مِن حَدِّ مطلبك الأسمى
قد انتزعا من قبلُ حَظك عُنـوةً ... وما برحا والدهر كالطائش الأعمى

---

(١) أى العصر الحاضر .
(٢) فتاه ، أى فضل .
(٣) أعلنت الجمهورية فى مصر يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣ .
(٤) جمال عبد الناصر
(٥) محمد نجيب .

تَجَبَّر واستعلى فردَّاه صاغرا ... وقد كان كالمحموم سكران بالحُمَّى
وها أنتِ بالعهد الجديد طليقةٌ ... ومُنْجبةٌ أعلام نهضتك الشُّمَّا
ففى كل شبر من ثراك خميلةٌ ... وقد كانت الويلات تغتاله قَضْما
وفى كل ركن من ربوعك ملجأٌ ... تلوذُ به خيرُ المواهب أو تُحمَى

* * *

فيا (مصر) عَضِّى بالنواجذ حُرَّةً ... على ما كسبتِ اليومَ واغتنمى اليوما
وهيّا أعدِّى للغد المرتجَى عُلًى ... تبزُّ بإعجاز لها كلَّ ما تَمَّا
إخاءً وتَنظيما وعلمـــــا وهمة ... وفنًّا تهزّ الغافلين أو الصُّمَّا
ولا تشتكى من لاعج اليُتْم بعدما ... أَزَلْتِ بهذا النَّصر من دَمِك اليُتْما
ألاَ فى سبيل المجد ما قد غَنِمتِه ... وها هو قد أضحى لكل الورى غُنْما
فإنك للأقوام أُمثولة الهدى ... وما خصَّ شعبا يستفيق ولا قَوْما

* * *

تبارك رَبّى حين يُنصف أمةً ... تعافُ ذليلَ العيش واليأسَ والنَّوْما
عزيزٌ على مِثلى البِعادُ وقد زَهَتْ ... منائرك الزهراء تستقبل السَّلْما
عزيز وفى قلبى حنان مؤرق ... وحسبى ـ على رغمى ـ مفارقتى الأُمَّا
إذا جئت هذا اليوم أُزجى تهانئى ... فمن قلب محروم تهلّل إذ يُدْمَى
ولكنّ نفس الحر نفسٌ عجيبةٌ ... تعيشُ على الأضداد مهما تكن غُرْما

يذكر مصر ويحن إليها

وقال من قصيدة أخرى يذكر مصر ويحن إليها :

لا تنهروا روحى لفرط ولوعها ... دَمْعى الذى تأبون بعضُ مودعها

أَلْقَتْ بى الأحداثُ دون ربوعها وأظلّ أحيا فى صميم ربوعها
تثب الرؤَى حولى بأنفاس الربى ونوافح الغدران حول ربيعها
وتهزنى الذكرى فأشرق بالأسى والذكريات وهو بها كمنوعها

* * *

كَمْ واهمٍ أنى سلوت ومادرى معنى السلوّ وحرقتى لجموعها
إنى الفتى الوافى بكى حصباءها كبكائه لسمائها وزروعها
دنيا الصباحة والجمال تلألأت بحنانها ، وتراقصت بولوعها
أجد الخضوع لها أحبَّ عبادة شتان بين عبادتى وخضوعها

* * *

لو أستطيع طردت عن أزهارها غير الندى والشمس غب طلوعها
وحميتها مما أغار تجنياً وجعلت أضلاعى أبرّ دروعها
وبعثتها من نومها ، وجعلتها فى عزمها كالشمس بعد هجوعها
وأثرتها لعظائم ومفاخر سيان بين وضيعها ورفيعها

* * *

مصر الحبيبة جنةٌ لا أشتهى منها الخيار ، فغيرها بجميعها
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت بحياتها وتصورت بصنيعها
إن كان عاقبنى الزمان بغربتى فلقد أفاء علىّ حلم بديعها
أو لم تنل عينى شعاع سنائها فلقد جنت عينى طيوف نزوعها
وتركننى فى حيرة لا تنتهى والنفس حيرتها أشد صدوعها
ركعتْ بمحراب الجمال بوهمها وتبتّلت فى حبها وركوعها
وأذابت الأحلام فى ألحانها والدمع والتقبيل يوم رجوعها !
لا تنهروا روحى لفرط ولوعها دمعى الذى تأبون بعض دموعها

ذكرى الشهداء

وقال فى (ذكرى الشهداء) :

ذكرى يرددها الزمان الوافى ... ألق الشموس لها من الأفواف
شعّت على مرّ السنين ، وعمرها ... عمر البطولة بآل كل شغاف
متغلغلا بنهى الفوارس ، دافعا ... من يحجمون إلى الخلود الصافى
اليوم يوم صـــلاتنا لجلالها ... واليوم نقرؤها الحنـــان الوافى
وعلى الثرى نَحْنُو ، نقبل تربة ... عبقت بحر شـــعورها الرفاف
ما كان بالخـــافى على مستلهم ... شهم ، وليس على الأبىّ بخاف

* * *

إنا بنى الأحرار نعرف قدرها ... ونشيمها فى النور والأطيـاف
وبكل معنى للعظائم شـــامخ ... وبكل نبع للحقيقـة صاف
لا مجد غير الحق يبقى ناصعا ... سمحا على رغم الردى المتلاف

* * *

هـذى مقابرهم وتلك دماؤهم ... مثـل النجوم ونورها الشـفاف
هيهات يدركها الطغاة وربما ... سجدوا لها رغما عن الآناف
سيجىء يوم للحساب ، قضاتهم ... تلك العظام ، بغضبة الإنصاف !

* * *

يا أمـــة الأحرار دومى حرة ... والتضحيات لك الجلال الـكافى
وبحسبك الشهـداء ضمخ ذكرهم ... هذا الأثير ، وشاع فى الألطاف
يوم كهـذا اليوم تهتف عنـده ... مهج الشعوب العانيات هتافى
وتعزه الدنيـــا التى حلمت به ... حلمى ، وتزأر وثبة الآلاف !

يهاجم الاستعمار وينادى بالثورة عليه

ومن قصيدة له يهاجم فيها الاستعمار وينادى بالثورة عليه ، نظمها سنة ١٩٥٢ لمناسبة الصراع بين الحرية والاستعمار فى تونس ، قال فى مطلعها :

ثوروا على الظلم العتيّ جهارا ... لا ترهبوه وإن يكن جبارا !
النار لم تخلق لغير مجاهد ... طلب العظائم حين خاض النارا
لا بد من صَهْر اليقين بشعلة ... حتى يخلص رائعاً قهارا
خَلُّوا الرصاصَ مدوِّياً من حولكم ... لا بد أن يَهْوَى وأن يتوارى
هذى البداية للنهاية ، لم يدم ... حكم أسفّ به الدخيل فبارا
مُرَّاكش ثارت عليه ، وفى غد ... سنرى الجزائر تصفع الجبّارا

* * *

أمُ العروبة نخوة وأرومة ... وثقافة ، أتقدس استعمارا ؟
خسئوا وضلوا ، والخسيس بطبعه ... يلقى الكرامة والمكارم عارا
يا ويلهم ، ومن الضحايا حولهم ... لُسُنٌ تحدث فى الصموت مرارا

* * *

« فرحات »[1] ليس بأول أو آخر ... لجرائم روعننا تكرارا
ما كان الاستعمار إلّا سُبة ... ولو انها لبست حلى ووقارا
يلهو به المستعمرون كأن نسوا ... عقبى الذين يلاعبون النارا
قالوا : « هو النعم الجزيلة فيضه » ... واستنطقوا الأدهار والآثارا
فتضاحكت منهم ، وفاضت عبرة ... ودما ، وآلاما حوت ، وشرارا

إلى أن قال :

إن قدر المستعمرون خضوعها ... أبداً فقد فقدوا لهم أعمارا
ومن الشعوب الساكنات ثوائر ... فى حين يسمع غيرها هدارا
لن يستطيعَ الذلَّ من تجرى بهم ... تلك الدماء وتخلق الأحرارا

(١) الزعيم المالى التونسى الذى اغتاله الفرنسيون .